www.nowlebanon.com

# لبنان في "اليوم العالمي للمفقودين": 17 ألف ضحية ... ومُعاناة بلا نهاية

ربّان ماجد ، الخميس 30 آب 2012

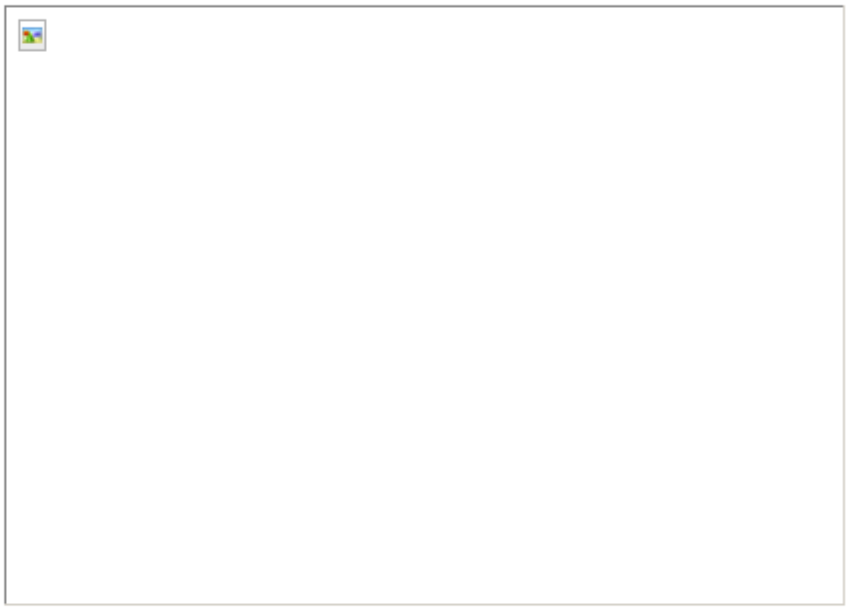

"غداً يا ولدي إذا عدت، ستجد انني سئمت الانتظار ولا خبر منك ولا علم (...)، ستشق طريقك في الحياة وحيداً (...) تنسى الحقد الضغين الذي سببه لك ضعفاء النفوس الجلادون. أرجوك أن تنسى هذه المدة الزمنية التي منعت فيها من متابعة حياتك ... عد الى إنسانيتك (...) أتمنى ألا يكونوا قد زرعوا فيك نبتة الشر .. اقلعها من جذورها وأرجعها فهي لهم وليست لنا (...) غداً يا ولدي إذا عدت. إقرأ كلماتي هذه وتذكر وصايا أمك".

هذا مقطع من رسالة كتبتها نايفة نجار الى ابنها الوحيد علي الذي خُطف في 26 آذار (مارس) 1984 وكان يبلغ من العمر 13 عاماً. انتحرت الأم بعد 9 شهور على غياب ابنها.

هناك حتى اليوم في لبنان، آلاف المفقودين نتيجة عمليات الخطف المتبادل خلال الحرب الأهلية ما زالت مصائرهم مجهولة، ومعهم آلاف الأهالي الذين لا يزالون ينتظرون ويأملون ويتألمون ويعجزون عن متابعة حياتهم.

"أي شخص فينا معرّض أو تعرّض لخسارة أحباء له. تشير الدراسات الى أن هناك تسلسلاً طبيعياً للمراحل النفسية التي يمرّ بها من يموت حبيب له: لا يصدّق بداية ما الذي حصل، يتملّكه بعدها شعور بالغضب، يليه شعور بالاكتئاب، ليبدأ أخيراً بتقبل الأمر الواقع ويحاول متابعة حياته اليومية، بالرغم من الحزن. أهل المفقودين غالباً ما يكونون عالقين في واحدة من هذه المراحل التي تسبق القبول. هناك أشخاص تابعوا حياتهم، إلا أن المتابعة هذه تكون عادة مصحوبة بالذنب: ماذا لو ظهر الشخص، كيف سيكون التعاطي؟ وآخرون، خاصة الأمهات، هم في حالة انتظار وأمل"، بحسب جوزيف الخوري، الطبيب النفسي.

حالة الانتظار والأمل هذه عبرّ عنها المعرض الذي نظّمته اللجنة الدولية للصليب الأحمر لمناسبة اليوم العالمي للمفقودين في القاعة الزجاجية في وزارة السياحة في بيروت. عبرّت اللوحات التي رسمتها الأمهات عن أحزانهن ووحدتهن وانكسارهن وشوقهنّ وأملهن بلقاء الأحباء. "الآلاف مفقودون ... ويُفتقدون: كلام الصمت"، هو عنوان المعرض، وفيه ترى صوراً لمن غادر قبل اللقاء، ولنعش فارغ بانتظار الرفات، ولمخطوطة كتبها غسّان حلواني، تعبّر عن حالة أهالي المفقودين وتساؤلات جيل من الأبناء والبنات حول ما آلت إليه قضيتهم: "إستمرّ مرور الوقت ولكن الزمن حافظ على جموده، فبقيت والدتي تحمل صورة والدي ودخلنا العصر الرقمي للصورة؛ تحولت قصة المفقود الى قصة جثّة غير موجودة".

هذه الجروح التي عبر عنها المعرض بشكل فني وإنساني ما زالت مفتوحة، ومعها جروح الحرب الأهلية اللبنانية التي لم تطو صفحتها بعد، لا بل خيّم شبحها على اللبنانيين في الآونة الأخيرة. إذ شهد لبنان أحداثاً أعادت الى الأذهان مشاهد من الحرب، وخصوصاً بعد عمليات الخطف التي حصلت ردّا على خطف لبنانيين في سوريا. وهذا "يُذكّر بداهة بالأمهات اللواتي يختزلن مآسيهن بصور تتكدس الواحدة الى جانب الأخرى، ويصرخن ضد هذا الخاطف أو ذاك ممن تربع أو ما زال يتربع على قمة السلطة"، بحسب تعليق نُشر في "المفكرة القانونية".

ويأتي إحياء اليوم العالمي للمفقودين هذه السنة، في ظلّ اعتقال أجهزة النظام السوري وخطف آلاف السوريين وفيما يرفض الاعتراف بوجود معتقلين لبنانيين في السجون السورية:
"كان النظام السوري يُصرّح في جميع وسائل الإعلام بعدم وجود معتقلين لبنانيين في سجونه. بعد موت حافظ الأسد، أفرج بشار الأسد عام 2000 عن 54 معتقلاً لبنانياً، فمن أين أتوا؟ والآن يقول بشار الأسد إنه لا يوجد في سجونه لبنانيون، فمن أين أتى يعقوب شمعون الذي خرج منذ شهر تقريباً؟ وأين جمال ياسين ونبيل خير وشامل كنعان وعلم الدين حسان وأحمد بيضون وبطرس خوند وعلي سعيد الحاج الذين تركتهم في السجن عندما أُفرج عنّي؟"، بحسب المعتقل السابق ورئيس جمعية المعتقلين اللبنانيين في السجون السورية، علي أبو دهن. أبو دهن، الذي اعتقل سنة 1987 على خلفية نشاطه المعارض لاحتلال النظام السوري لبنان، أمضى "13 سنة ناقصاً 13 يوماً" في السجون السورية: "كان عمري 37 عندما اعتُقلت، خرجت وقد أصبحت في الخمسين من عمري، إبنتي الكبيرة كان عمرها 7 سنوات، عدت ووجدتها متزوجة". انتقل أبو دهن بين فرع المنطقة وفرع فلسطين وفرع التحقيق العسكري، ليمضي بعدها 5 سنوات في سجن تدمر الذي يصفه بأنه "من أصعب سجون العالم" حيث "الداخل مفقود والخارج مولود"، قبل أن يحوّل الى سجن صيدنايا.

يقول علي أبو دهن إن الجمعية سلّمت الى القضاة الأعضاء في اللجنة اللبنانية السورية التي شكّلت في عهد الرئيس سعد الحريري لائحة تضم أسماء 610 معتقلين لبنانيين في السجون السورية، نفت السلطات السورية وجودهم. وهو إذ يُصر على رفض خطف أي لبناني من أي جهة كان، لكنه يتمنى أن تولي الدولة اللبنانية والمجتمع اللبناني الاهتمام ذاته بكل المختطفين والمعتقلين اللبنانيين، وأن تستقبلهم بالطريقة نفسها: "هذه قضية إنسانية، هناك مئات المعتقلين منذ عشرات السنين في السجون التي تُقصف الآن في سوريا".

فإلى متى هذا الاستخفاف بحياة الناس وعذاباتهم؟